وسط الشعب العربى الشقيق

زيارة وفد المسلمين الصينيين للكويت وعمان والبحرين وجمهورية اليمن العربية

بقلم الحاج لقمان ما شان بى

تعتبر بداية الشتاء فى الخليج اجمل موسم فى السنة . ومن سواحل البحر الاحمر الى خليج عمان يشاهد المرء مناظر جذابة . وفى أوائل نوفمبر ١٩٧٩ بعد اداء مناسك الحج فى السعودية العربية وتلبية لدعوة حكومات الكويت وعمان والبحرين وجمهورية اليمن العربية ، زار وفد المسلمين الصينيين هذه الدول الصديقة الاربع برئاسة محمد على تشانغ جيه مندوب المجلس الوطنى لنواب الشعب الصينى ونائب رئيس الجمعية الاسلامية الصينية وصالح ان شى وى نائب رئيس الوفد والعضو الدائم للجنة الوطنية للمؤتمر الاستشارى السياسى للشعب الصينى وامام جامع دونغسى ببكين ، وقد لقى الوفد استقبالا وديا من قبل حكومات هذه الدول الاربع وشعوبها ومسلميها الاشقاء . وبالرغم من وجودنا فى بلاد غريبة بعيدة عن وطننا الا اننا شعرنا كأنما كنا بين اخوتنا مغمورين بضيافة كريمة من هؤلاء الاشقاء الحميمين . وبصفتى عضوا فى الوفد احسست بالصداقة العظيمة التى يكنها الشعب العربى تجاه الشعب الصينى .

فى الكويت

الكويت هى اول قطر زرناه . وهى دولة شابة حيوية . وفى كل مكان شاهدنا الابنية والمشاريع العصرية . وخلال السنوات القلائل الماضية ، ومن اجل تطوير الاقتصاد الوطنى ، قامت حكومة الكويت بأعمال ضخمة وحققت نتائج ملحوظة . وبعد زيارة رئيس الوفد ونائبه للكويت فى عام ١٩٦٦ ، ها نحن نزورها اليوم رة اخرى بعد عشر سنوات واكثر وجدنا ان تغيرات كبيرة قد طرأت عليها فى مختلف المجالات ، فالعمارات ظهرت صفا بعد صف وتراصت مختلف الابنية والمشاريع العصرية واحدة بجانب اخرى . وقد تحسنت معيشة الشعب الكويتى الى حد كبير . وما ان وصل وفدنا الى الكويت حتى لقى استقبالا حارا من قبل وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتى ووكيله . وقال الوزير الشيخ يوسف جاسم الحجى يخاطب محمد على تشانغ جيه رئيس الوفد : " اتمنى لكم النجاح فى زيارتكم للكويت . ان الشعب الكويتى اصدقاؤكم والمسلمين الكويتيين اخوتكم . لذا ارجو منكم ان تبقوا فى الكويت كأنما فى بلادكم وسط اخوتكم . " قد ادى الوفد صلاة الجمعة فى جامع فاطمة مع السكان المحليين . وبعد اداء الصلاة ، التفت الجماهير حول افراد الوفد وصافحوهم مصافحة ودية وحيوا بعضهم البعض . واخذ احد الاصدقاء المصريين وكان يسمى سعيدا شقيقه واولاده الى الصلاة ، وبعد رؤيته المسلمين الصينيين قال لنا بحماسة : " انا مسرور جدا برؤيتكم ، ان مجيئكم يبرهن على ان حالة الاسلام فى الصين الجديدة جيدة للغاية . " ودعا كل المصريين الحاضرين فى حينه ليصافحوا اعضاء الوفد واحدا تلو الآخر . واضاف يقول : " ان اجتماعنا اليوم بالاصدقاء الصينيين يرمز الى حقيقة ان كل مصرى يحب الصين العظيمة . " قد زرنا الاماكن المشهورة والمدارس الدينية فى الكويت . عندما زرنا المعهد الدينى بالكويت استقبلنا جميع المدرسين والموظفين برئاسة المدير محمد شمس الدين بصورة ودية . وزرنا مركز تعليم اللغات الاجنبية المجهز بالاجهزة الكهربائية والمعدات التعليمية العصرية . وقال المدير بحماسة : " يمثل الشعب الصينى الذكاء البشرى وانه شعب مجتهد وبطل . كل واحد من العرب يحبه حبا جما . ان الصداقة مع الصين تعنى الاقتران بالذكاء الجميل البشرى . " كما رجا المدير ان يأتى طلاب من الصين الجديدة ليدرسوا فى المعهد الدينى فى يوم ما .

فى عمان

بين شعبى الصين وعمان صداقة عميقة تقليدية . وتعود التبادلات الودية بين الشعبين الى القرن الخامس بعد الميلاد . كان يتوافد من قبل الشعب العمانى الماهر فى الشؤون البحرية رجال على السفن الى الصين بلا انقطاع . هذا وقد زار تشنغ خه البحار المسلم المشهور الصينى فى اسرة مينغ ضمن زياراته الاخرى عمان . ان اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين وعمان فتحت آفاقا اوسع فى مجال التعاون بين البلدين . وتعتبر عمان دولة مسلمة تتمسك بشريعة الاسلام . وقد دخل الاسلام الى عمان فى الفترة الاولى من تأسيسه . وكنا اول وفد من مسلمى

وفد المسلمين الصينيين يقدم هدية الى وزير العدل لسلطنة عمان

الصين الجديدة زار عمان . وقد لقينا استقبالا حارا من قبل جلالة السلطان قابوس المعظم وحكومة عمان وشعبها وكل الاخوة المسلمين فيها . عندما وصلنا الى مسقط كان الليل قد انتصف . ومن اجل استقبالنا كان مطار مسقط الدولى يشع بالانوار . وهناك استقبلنا بحماسة الاصدقاء العمانيون برئاسة الاستاذ على ابراهيم الرئيسى وكيل وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالنيابة فى ملابسهم القومية العربية الزاهية . وقد مهدت حكومة عمان مختلف السبل لاستقبالنا . لقد زرنا مسقط ونزوى والسيب وغيرها من المدن . وحيثما ذهبنا عوملنا معاملة كرام الضيوف واقيمت الولائم الضخمة بما فيها اثمن التشريفات التقليدية العربية على شرفنا . وعلى سبيل المثال استمتعنا بالقهوة العربية وحلويات عمان ولحوم الذبائح . وفى الفترة التى مكثناها فى عمان احسسنا بالمشاعر الشقيقة المخلصة التى يكنها الشعب العمانى تجاه الشعب الصينى . وقال لنا الوليد بن زاهر الهنائى وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية العمانية فى ود ومحبة : " المسلمون الصينيون اخوتنا ونحن نرحب بحضوركم ترحيبا حارا . ان التبادلات الودية بين بلدينا ترجع الى زمن بعيد . اما زيارتكم اليوم فقد سجلت صفحة جديدة فى تعزيز صداقتنا . ونحن نرحب بالتبادلات فى مختلف المجالات بين بلدينا . ومنذ اقامة العلاقات الدبلوماسية قد شهدت هذه التبادلات تطورا سريعا . والعلاقات الودية الآن قائمة بين عمان والصين مثل العلاقات الحميمة بين شعبيهما . اما اليوم فتضاف الى كل هذه العلاقات الدينية بين مسلمى البلدين " وعبر الشيخ محمد بن احمد العالم المرموق فى عمان ومستشار الدين والتاريخ لجلالة السلطان ووزير الدولة السابق عن " ان التبادلات التاريخية بين الامتين الصديقتين الصينية والعمانية هى نموذج للتبادلات الودية سواء فى الماضى ام فى الحاضر . " واضاف احمد والى مدينة نزوى وفد المسلمين الصينيين بشكل قومى تقليدى وبصورة ودية وضخمة . وعندما شكره رئيس وفدنا على كرم ضيافته قال والى المدينة : " هنا ادينا واجبنا فقط فى استقبال الضيوف وهذا تعبير عن المشاعر بين الاخوة . بل ينبغى لنا ان نشكركم انتم لانكم جئتم الى عمان من بعد شاسع وجئتم للشعب العمانى بالمشاعر الودية العميقة من قبل الشعب الصينى . "

تلبية لدعوة من حكومة عمان ، تشرف وفدنا بالاشتراك فى احتفالات الذكرى التاسعة للعيد الوطنى العمانى وحضر حفلة الشاى التى اقامها جلالة السلطان قابوس . وفى ذلك الوقت ، اجتمع جلالته بوفدنا . ونقل محمد على تشانغ جيه رئيس الوفد تحيات جميلة نيابة عن الجمعية الاسلامية الصينية والمسلمين فى الصين كلها الى جلالة السلطان قابوس ، وعبر جلالته عن شكره . والقى جلالة قابوس خطابا هاما اثناء استعراض الجيش فى العيد الوطنى ، وكان يتحدث باسهاب حول البناء الداخلى والوضع الدولى وأكد المنجزات التى حققها الشعب العمانى خلال مدة قصيرة كما عبر عن ثقته فى بناء عمان جديدة واجمل . وقد ندد بقوة بأن الاتحاد السوفياتى وكوبا يزيدان من حدة التوتر فى مضيق هرمز واشار : " اذا وقع مضيق هرمز فى خطر فالشعب العمانى ذو التقاليد المجيدة فى مقاومة العدوان الخارجى سوف يدافع بدون تردد عن امن وطنه والمواصلات البحرية الدولية . "

فى البحرين

زار وفد المسلمين الصينيين البحرين الجميلة عبر المحيط لاول مرة . ان البحرين جزيرة غنية . ومناظرها خلابة ويداعبها الموج من كل جانب . وقد استقبلتنا وزارة العدل والشؤون الاسلامية بالود والصداقة . واليوم الذى وصلنا فيه الى المنامة عاصمة البحرين صادف بداية القرن الخامس عشر الهجرى ، كانت البحرين تحتفل بهذه المناسبة من اقصاها الى ادناها . واشترك الوفد تلبية لدعوة فى الاحتفالات التى اقيمت فى جامع الفاضل

الكبير المشهور بالمنامة . وحضرها رئيس وزراء البحرين الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة والوزراء والشخصيات من مختلف الاوساط . حيا وفدنا رئيس الوزراء والاصدقاء فى البحرين تحيات ودية ، وتمنى كلا الطرفين ان تتطور وتتقوى العلاقات الودية باستمرار بين الشعبين الصينى والبحرينى والمسلمين بين البلدين . وبعد الاحتفالات وبالرغم ان الوقت كان قد جاوز الساعة العاشرة مساء الا ان الجماهير المحليين كانوا يحيوننا بصورة مستمرة . وكانوا يطلبون منا ان ننقل تحيات شعب البحرين ومسلمى البحرين الى الشعب الصينى والمسلمين الصينيين . وامسك شاب اسمه محمود بأيدينا قائلا : " نحن مسرورون جدا برؤية المسلمين الصينيين الذين جاؤوا من بعد شاسع ،. نرجو من الاخوة الصينيين ان يزوروا البحرين دائما " .

اجتمع عبد الله بن خالد وزير العدل والشؤون الاسلامية فى البحرين ووكيله عبد الرحمن بنا فى جو من الود والصداقة . وكانا يعبران عن ترحيبهما الحار بنا باسم حكومة البحرين ، كما رجيا ان يزورا الصين فى يوم ما . وقد عبر رئيس وفدنا عن ترحيبه الحار قائلا : " علينا ان نتعلم من الشعب العربى . " ثم قال الوزير عبد الله بن خالد : " قال النبى محمد صلى الله عليه وسلم : ' اطلبوا العلم ولو فى الصين ' ، وقد تنبأ فى ذلك الوقت المبكر باننا يجب ان نتعلم من الصين . " واقام الوزير ووكيله وليمة غداء ضخمة تكريما لوفدنا . واثناء الوليمة ، تحدثنا باسهاب عن مشاعر الصداقة مع الاصدقاء من البحرين والاردن والكويت والسعودية العربية . وعبر الجميع عن رغبتهم فى تعزيز الصداقة بين المسلمين الصينيين والمسلمين من مختلف البلدان العربية .

كانت مدة زيارتنا للبحرين قصيرة . غير ان المضيف المتحمس رتب ونظم لنا بقدر الامكان زيارة مدينة البحرين البترولية وغيرها من مختلف المشاريع ورؤية المناظر الطبيعية الجميلة والآثار القديمة المشهورة . وفى السنوات الاخيرة الماضية ، بذلت حكومة البحرين اقصى جهودها لتطوير الاقتصاد الوطنى ورفع مستوى معيشة الشعب . ان البحرين فى تقدم ونتمنى من صميم القلب ان يحقق شعب البحرين انتصارات اكبر باطراد .

فى جمهورية اليمن العربية

ان الصين وجمهورية اليمن العربية دولتان صديقتان . واليمن هى احدى الدول العربية التى اقامت علاقات دبلوماسية مع الصين فى وقت مبكر نسبيا . وفى خضم النضالات المشتركة الطويلة الامد خلق الشعبان الصينى واليمنى صداقة كفاحية راسخة وطيدة . وقد ظهر التعاون المثمر فى مختلف المجالات بين البلدين . والمشاريع التى قدمتها الصين مثل طريق صنعاء - الحديدة والمستشفى ومدرسة التقنية والمصانع والابنية وغيرها من المشاريع حظيت بثناء عاطر من قبل الحكومة اليمنية والشعب اليمنى . قال الاصدقاء اليمنيون معجبين : " ان الصين حكومة وشعبا قد حظيت بثقة تامة من اليمن . " و" الشعب اليمنى على ثقة مطلقة بالشعب الصينى " ، و" كل يمنى يحب الصين العظيمة " و" الصين تأصلت فى قلوب الشعب اليمنى " . وفى اثناء زيارتنا لليمن ، كان الشيخ احمد زبارة مفتى جمهورية اليمن العربية، وهو صديق قديم للشعب الصينى، يصحبنا طوال الرحلة . وعندما قلنا له : " لا تصحبنا طوال الرحلة وانت رجل مسن " ، قال الشيخ : " ان صحبة الاخوة الصينيين هى فرصة سانحة بالنسبة لى وهى ايضا اكبر سعادة واجمل راحة . ان الوقت الذى قضيته مع الاخوة الصينيين هو اثمن الاوقات بالنسبة لى ، لهذا يجب على ان اعزه . "

استغرقت الزيارة الودية التى قمنا بها الى اليمن عشرة ايام . وقد زرنا المصنع والمستشفى والآثار القديمة . وصلينا مع الجماهير فى جامع صنعاء الكبير وجامع الحديدة . وفى الجامع الكبير الواقع فى تعز المدينة القديمة أم احد اعضاء وفدنا قاسم

وفد المسلمين الصينيين يزور مستشفى تعز الذى تم بناؤه بمساعدة الصين

قارئ الحاجى امام مسجد عيدكار فى كاشغار فى شينجيانغ الف مسلم محلى تقريبا فى صلاة الجمعة . وقال الشيخ احمد زبارة والاصدقاء الآخرون فى صوت واحد : " لا نصلى اليوم مع الامام قاسم بل نصلى مع الصين العظيمة . والصين لا تعد نموذجا لنا فى مختلف المجالات فحسب بل المسلمون الصينيون يعتبرون مثالا لنا فى صعيد الدين . " قد زرنا مصنع البلاستيك ومصنع الكعك فى تعز . ان اجهزة المصانع متقدمة وترمز الى ان الشعب اليمنى احرز مكاسب ملحوظة فى تطوير الاقتصاد الوطنى . وقد تركت كل هذه الاشياء اثرا عميقا فى اذهاننا ولاسيما مساهمة النساء فى العمل والبناء .

ان الشيخ احمد زبارة عالم يحترمه الشعب اليمنى احتراما عظيما ويسميه بعض الناس المحليين " الاب " . وقد ساهم مساهمة مفيدة فى تدعيم الصداقة الصينية اليمنية . قال لنا نائب رئيس الوزراء محمد الجنيد اثناء استقبالنا : " تفتخر اليمن بالشيخ احمد زبارة وهو احد مؤسسى الصداقة الصينية اليمنية . " حقا ان الشيخ احمد زبارة قد زار الصين ثلاث مرات . وفى عام ١٩٦٠ قد استقبله الرئيس ماو تسى تونغ . وهو يعتبر الـ ٤٥ دقيقة التى اجتمع خلالها بالرئيس ماو " اجمل ٤٥ دقيقة فى حياته " . واخبر كل من يقابله بانطباعاته حول الصين واحوال الاصدقاء الصينيين . واخبرنا : " اشعر بالسعادة عندما اذكر الوقت الجميل الذى قابلت فيه الاصدقاء الصينيين . ولا يمكن ان انسى طباع الشعب الصينى الجيدة الى الابد . " فعلا ، صدق الشيخ احمد زبارة ولدى انا نفس المشاعر : كلما ذكرت الوقت الجميل الذى لاقيت فيه الاصدقاء كنت اشعر بسعادة بالغة .

بالرغم من اننا عدنا الى وطننا فى ديسمبر من السنة الماضية ، الا ان المناظر الخلابة فى اراضى الخايج والامواج الخضراء فى المحيط وخصوصا الوجوه اللطيفة للاخوة العرب ما زالت تبدو امام اعيننا من حين لآخر ، وما زالت المشاعر الودية والعواطف الرقيقة التى يكنها الشعب العربى تجاه الشعب الصينى تخطر بأذهاننا بين لحظة واخرى . وسوف يبقى على ذاكرتنا الى الابد كل وجه مبتسم وكل كلمة ودية وكل يد صافحتنا دليلا على الصداقة .